

التصعيد بين إيران والولايات المتحدة: الأسباب والمآلات

حسن أحمديان

مقدمة

بعد مفاوضات بدأت خلف الستار واستمرت بكثافة غير معهودة بين واشنطن وطهران، وقّع الجانبان اتفاقية ضمت باقي أعضاء مجلس الأمن وألمانيا والاتحاد الأوروبي. وجرى تمكين الاتفاق النووي قانونيًا بقرار من مجلس الأمن (القرار ٢٢٣١) فأصبح جزءًا من القانون الدولي. إلا أن ذلك لم يمنع إدارة الرئيس ترمب من الخروج على الاتفاق وإعادة فرض العقوبات على إيران وإعلانها ١٢ شرطًا لإنهائها. وبذلك عادت العلاقة الإيرانية الأمريكية إلى مربع الأزمة بعد سنتين من توقيع الاتفاق النووي. ورغم محوريته في تصاعد الأزمة، فلا يمكن اختصار أسباب التصعيد في ذلك الاتفاق. فثمة خلافات داخلية في الولايات المتحدة وصراع بين المحاور الإقليمية في الشرق الأوسط أثرًا بشكل أو بآخر في التصعيد الحالي بين البلدين. نناقش في هذه الورقة أسباب التصعيد بين واشنطن وطهران والقوى المؤثرة فيه على المستويين الإقليمي والدولي، ونتم الورقة باستشراف التوقعات المستقبلية للتصعيد الحالي.

أسباب العودة للتصعيد

لم تشهد العلاقات الإيرانية الأمريكية منذ الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ هدوءًا كالذي تلى الاتفاق النووي عام ٢٠١٥. إلا أن تلك الفترة لم تُعمر طويلاً، ولم تكن العودة للعداء بسبب الاتفاق النووي وتراجع واشنطن عن تعهداتها فقط، بل جاءت نتيجة مجموعة من الأسباب نلخص أهمها كالتالي:

تراجع أمريكي عن الالتزام بالاتفاق النووي: رغم كونه أحد الأسباب فقط، فإن انقلاب واشنطن على الاتفاق النووي يُعتبر السبب الرئيس في عودة العداء بين الجانبين وتصاعده. فقد ركزت معظم النقاشات في طهران وواشنطن وخارجهما على الاتفاق النووي كمحور في العداء المتصاعد. وتمحور النقاش في إدارة ترمب على ثلاثة أجزاء من الاتفاق، وأنت بنود غروب الشمس (sunset provisions)، التي اعتبرها الرئيس ترمب "غير مقبولة كلياً"، في المقدمة^١. حيث تقول الإدارة الأمريكية بضرورة تأييد هذه البنود لمنع حركة طهران في اتجاه إنتاج القنبلة الذرية بعد انتهاء مفعولها. وثانيًا: تدعو واشنطن إلى توسيع الاتفاق ليشمل برنامج إيران للصواريخ الباليستية، وأن تُمنع إيران من إنتاج هذه الصواريخ وتطويرها واختبارها؛ لتشكيلها تهديدًا على مصالح واشنطن في المنطقة. وثالثًا: تقول واشنطن بضرورة لجم الاتفاق لسياسة إيران الإقليمية والحد من نفوذها وتأثيرها الإقليميين. وقد طرحت هذه الأمور بالإضافة إلى شروط أخرى من قبل الإدارة الأمريكية في ١٢ بندًا، وعلى طهران القبول بها والتفاوض عليها أو مواجهة عواقب التنصّل منها^٢.

أهداف التصعيد الأمريكي: ثمة نقاش داخلي في إيران حول أهداف إدارة ترمب من الانسحاب والتصعيد ضد إيران. إذ ترى مجموعة - يمكن اعتبارها الأقلية - أن الهدف هو الإتيان باتفاق على شاكلة الاتفاق النووي بتغييراتٍ تُرضي شغف الرئيس ترمب في إظهار جدارته التفاوضية وأفضليته قياسًا بأوباما. ولذلك فهي تفتح إمكانيةً للتفاوض مع ترمب إن تراجع عن خطابه الاستعلائي المستفز أمام إيران. هذا بينما ترى المجموعة الأوسع أن الهدف هو إحداث تغيير عميق في إيران يُدخلها تحت السلطة الأمريكية. بعبارة أخرى، تهدف إدارة ترمب إلى سلب استقلال إيران. وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: فمنهم من يقول إن رؤية ترمب هي تغيير سلوك إيران في الإقليم والداخل كهدف رئيس، ومنهم من يرى أن الهدف النهائي هو تغيير النظام حتى لو طرح تغيير السلوك أولاً. وأمام هذا الهدف ترى النخب الإيرانية شغفًا في التفاوض الذي سيبنى على تراجع إيرانيٍ تليه تراجعات أخرى. وأمام الرفض الإيراني يزداد الضغط الأمريكي.

نقاش للمقاومة والصمود في إيران: مع انقلاب ترمب، برز نقاش في طهران حول المستجد أمريكيًا وأمثل الطرق للتعاطي معه، وسرعان ما تقلص إلى الممكن والمقدور إيرانيًا، وبرز شبه إجماع نخبوي حول ضرورة عدم استرضاء واشنطن. ولذلك تحول النقاش الداخلي إلى نقاش حول الطريقة الأنجع والأقل خطرًا لمناكفة واشنطن. وجرى الردُّ على حجج واشنطن. فبالنسبة إلى بنود غروب الشمس، قيل إن الاتفاق ركّز على طمأنة المجتمع الدولي حول برنامج إيران النووي، ومع استمرار الرقابة الصلبة

ثمة نقاش داخلي في إيران حول أهداف إدارة ترمب من الانسحاب والتصعيد ضد إيران. إذ ترى مجموعة - يمكن اعتبارها الأقلية - أن الهدف هو الإتيان باتفاق على شاكلة الاتفاق النووي بتغييراتٍ تُرضي شغف الرئيس ترمب في إظهار جدارته التفاوضية وأفضليته قياسًا بأوباما. ولذلك فهي تفتح إمكانيةً للتفاوض مع ترمب إن تراجع عن خطابه الاستعلائي المستفز أمام إيران

للمنظمة الدولية للطاقة الذرية (IAEA) التي ستدوم بعد انتهاء مفعول تلك البنود، يضمن المجتمع الدولي عدم إنتاج إيران رأسًا نوويًا. أما بالنسبة إلى برنامجها للصواريخ الباليستية، فترفض طهران أيّ نقاشٍ حول الموضوع باعتباره يدخل ضمن نطاق أمنها القومي. كما يُطرح في النقاشات في طهران أن ذلك يدخل ضمن الحد من انتشار الأسلحة التقليدية، ولكنه لا يمكن أن يكون جدياً دون طرحه إقليمياً. وكذلك الحال بالنسبة إلى سياستها الإقليمية، فهي تبحث عن حلولٍ لأزمات الشرق الأوسط على أن لا يأتي ذلك على الدور الإيراني واستثنائه في المنطقة بالتالي. وبشكل عام، فمن المرجح عدم تراجع طهران عن قوتها الصاروخية والردعية في الإقليم، ف"لا يوجد إيراني غيور وفاهم يفاوض الآخر على نقاط قوته ومصادرها" حسب المرشد الأعلى؛ إن الرفض الإيراني للتفاوض يعود إلى سببين رئيسيين؛ الأول: تهيش خرق ترمب للاتفاق للثقة الضئيلة المولودة في حقبة باراك أوباما، والثاني: التراجعات الجديدة المتوقعة من إيران في أيّ مفاوضات مع واشنطن، إذ تعتبرها طهران استسلامًا، وهي لن تستسلم حتى لو قُصفت حسب الرئيس روحاني.

دفع الجبهة المعادية لطهران للمواجهة: بينما تسعى طهران إلى ردع واشنطن للحد من احتمالات الحرب، وإذ يبدو حراك الرئيس ترمب مبنياً على نظرية الرجل المجنون (mad man) للضغط لا الحرب، فإن الجبهة المعادية لطهران في الإقليم تدفع نحو المواجهة بين واشنطن وطهران. إذ ترى هذه الجبهة، التي تضم إسرائيل والسعودية والإمارات، في الرئيس ترمب فرصةً لتقليص الفارق في النقاط

بينما تسعى طهران إلى ردع واشنطن للحد من احتمالات الحرب، وإذ يبدو حراك الرئيس ترمب مبنياً على نظرية الرجل المجنون (mad man) للضغط لا الحرب، فإن الجبهة المعادية لطهران في الإقليم تدفع نحو المواجهة بين واشنطن وطهران

التي حققتها طهران في السنوات الماضية، والتي تُرجمت نفوذًا متراميًا وتأثيرًا متصاعدًا على طول الشرق الأوسط وعرضه. ورغم إدراكها عزوف الطرفين عن الحرب، فإن هذه الدول تشجع استهداف واشنطن لطهران - وإن بشكل محدود - لدفعها للانكفاء للداخل. وتظهر تحركات أعداء إيران من خلال استهداف القوات الإيرانية في سوريا لدفعها للردِّ ومحاولة إظهار "التهديد الإيراني" كخطر يهدد المصالح الأمريكية في اليمن والعراق ومناطق أخرى. فالضغط على طهران يمثل لعبةً إيجابية - خاصة للرياض وأبوظبي. فاستهداف طهران يقلص نفوذها الإقليمي - أو هكذا تأمل هذه الدول. وبتزايد الضغط من خلال العقوبات، تنكفئ طهران للداخل أكثر من تركيزها على الإقليم. وفي كلتا الحالتين سيزداد مدخول الدولتين ونصيبهما من سوق الطاقة العالمي في غياب النفط والغاز الإيرانيين - أو هكذا هي حسابات تلك الدول.

دائرة التصعيد المستمر

بينما تصعد واشنطن من وطأة عقوباتها ونبرة عدائها لطهران، مهددة إياها تارةً ومادةً يدّ التفاوض تارةً أخرى؛ تردّ طهران وبندية على هذه السياسة، ويقول ساستها بضرورة التصديّ للأحادية الأمريكية. وتخلق دائرة الفعل ورد الفعل هذه معضلة أمن؛ إذ يعتبر كل من الطرفين تحرك الطرف الآخر تهديدًا فيقوم بإجراءاتٍ لصدّه وتحيينه، وتأتي هذه الإجراءات كتهديدٍ للطرف الأول الذي يقوم بدوره بالردّ عليه. فقد اعتبرت طهران مثلًا إدخال واشنطن قطعًا بحرية إلى المنطقة تهديدًا أدى إلى اتخاذها إجراءات استعدادًا لأي مواجهة وتحسبًا لأسوأ السيناريوهات، واعتبرت واشنطن هذه الإجراءات تهديدًا فقامت بإطلاق تحذيراتٍ وبدأت بإجراءاتٍ للتصديّ للتهديد - كسحب دبلوماسيينها من بغداد^١. وقد تصاعدت معضلة الأمن في الآونة الأخيرة، وهو ما قرّب الجانبين إلى الصدام المباشر.

وبينما توسّع أسباب التصعيد آنفة الذكر معضلة الأمن، فإن الحسابات الداخلية تأتي لتعمّق تلك الأسباب. وللحسابات الحزبية في واشنطن تأثير واضح في التصعيد ضد طهران. فقد طفت على السطح منذ توقيع الاتفاق النووي خلافاً حزبية حالت دون تأييد الكونغرس ذي الأغلبية الجمهورية لذلك الاتفاق. واثخبت الرئيس ترمب ببرنامجٍ وضع لنسف إنجازات سلفه الرئيس أوباما، وهو ما أدى إلى نقض واشنطن التزاماتها في الاتفاق النووي. ومن صور الخلافات الحزبية الأحدث إعلان أغلب المرشحين الديمقراطيين للرئاسة في الولايات المتحدة عزمهم العودة للاتفاق النووي^٢. ويعني ذلك أن إيران والاتفاق النووي باتا جزءًا من المنافسات الحزبية الداخلية في الولايات المتحدة بين رئيس وإدارة جمهورية تقول بالضغط على طهران حتى دخولها بيت الطاعة الأمريكي، وبين الحزب الديمقراطي القائل بأن الاتفاق النووي كان إنجازًا يجب الحفاظ عليه. ومن إسقاطات ذلك الخلاف تركيز البيت الأبيض على الضغط على طهران بشكل أكبر لجزّها إلى تفاوضٍ يُظهر «نجاعة» سياسة ترمب.

أما في طهران، فيمكن طرح اقتراب الاستحقاق الرئاسي كمتغيّر مؤثر. فبين منتقد إدارة الرئيس روحاني لتوقيعه اتفاقًا لم يلتزم بتطبيقه أيّ من الأطراف الموقّعة عدا طهران، وبين مؤيدٍ له قائل بأن الاتفاق أخرج إيران من طائلة البند السابع؛ تحاول إدارة روحاني التمسك بالإجماع الداخلي الرافض للتفاوض مع ترمب تحت التهديد. وترمي الإدارة الموصوفة بالاعتدال والإصلاح إلى إظهار قوتها أمام «العدو» كما أظهرت جدارتها التفاوضية سابقًا، للرقى بحظوظ تيارها في الانتخابات القادمة. هذا بينما تتركز الانتقادات لها على ضعف إرادتها في مواجهة واشنطن. لذلك وفي خضمّ النقاش المناوئ لواشنطن في طهران، فمن المرجح أن يُستخدم الطريق المسدود أمام برنامج حكومة روحاني «التعامل البتاء» مع المجتمع الدولي كورقة انتقادٍ وضغطٍ لضرب برنامج تيارها في الاستحقاقات القادمة. ويؤدي ذلك إلى تركيز حكومة روحاني على التعاطي بنديّة مع واشنطن لإثبات جدواها في الحكم بعين الناخب الإيراني.

ويعني ذلك أن إيران والاتفاق النووي باتا جزءًا من المنافسات الحزبية الداخلية في الولايات المتحدة بين رئيس وإدارة جمهورية تقول بالضغط على طهران حتى دخولها بيت الطاعة الأمريكي، وبين الحزب الديمقراطي القائل بأن الاتفاق النووي كان إنجازًا يجب الحفاظ عليه. ومن إسقاطات ذلك الخلاف تركيز البيت الأبيض على الضغط على طهران بشكل أكبر لجزّها إلى تفاوضٍ يُظهر «نجاعة» سياسة ترمب

الموقف الدولي والإقليمي

في ظلّ احتمالات التصعيد، تواجه إدارة ترمب إشكاليةً في إقناع العالم بضرورة وجدوى مواجهتها لطهران الملتزمة بالاتفاق النووي. وبينما عوّلت إدارة ترمب على احتمال خروج إيران من الاتفاق النووي لإحداث إجماع دوليٍّ ضدها وإعادة ملفها النووي لمجلس الأمن بغية إجبارها على التفاوض وفقّ الأجندة الأمريكية، فقد مثّل استمرار طهران في الاتفاق النووي عقبةً صعبت الخطة الأمريكية. وبذلك انتقلت واشنطن إلى الخطة «باء» المتمثلة في زيادة الضغط على طهران وحملها على الخروج من الاتفاق من خلال خنقها اقتصاديًا - وهو ما طرحه الرئيس ترمب بالقول بأننا سنحارب إيران اقتصاديًا، واعتبرته طهران إرهابًا اقتصاديًا^٣. وقد زادت العقوبات غير المسبوقه على طهران من الضغط على طهران، وأدت إلى تسريع الاتحاد الأوروبي إجراءاته لفتح ساقية الإنستكس (Instex)^٤ أمام إغلاق واشنطن نهر الاتفاق النووي على طهران. ويمثّل إعلان الرئيس روحاني الانسحاب المتدرّج من الاتفاق الوردقة^٥ التي قد تغبّر المسار الحالي من الموقف الدولي إزاء التصعيد الأمريكي ضد طهران. ويمكن تلخيص الموقف الدولي والإقليمي كالتالي:

دعم دولي لموقف طهران: التزام طهران باتفاق خرقته إدارة ترامب بشكل أحادي أكسبها رصيда أخلاقيا ودعمًا دوليا كبيرين، وبينما تصعد واشنطن ضد طهران، يحاول المجتمع الدولي تئيبها عن التصعيد ووضع مطالبات - كالإنستكس الأوروبي - أمام تحركها الأحادي. وبينما تُجمع الأطراف الموقّعة على الاتفاق على دعمها لموقف طهران أمام واشنطن، فإن ذلك الدعم مشروط ببقاء طهران في الاتفاق النووي. وتعدّ الصين وروسيا الأقرب والأكثر دعمًا لموقف إيران. فعلاوة على الدعم السياسي أمام الضغط الأمريكي، ما زالت الدولتان تقاومان العقوبات الأمريكية من خلال عمليات شراء النفط (الصين) أو تبادله (روسيا) ومشاريع اقتصادية أخرى. ورغم ذلك، فإن العقوبات الاقتصادية والمالية تؤتي أكلها في الضغط المتصاعد على طهران. إذ وبشكل عام، لم يُترجم الموقف الدولي الداعم لإيران أمام الأحادية الأمريكية إلى مقاومة العقوبات الدولية إلا بشكل محدود كما ذكر أعلاه. ولذلك لا يعني التزام أوروبا بالاتفاق النووي ضد موقف واشنطن المتشدّد شيئًا بالنسبة إلى طهران كما ذكر المرشد الأعلى.

إن العقوبات الاقتصادية والمالية تؤتي أكلها في الضغط المتصاعد على طهران. إذ وبشكل عام، لم يُترجم الموقف الدولي الداعم لإيران أمام الأحادية الأمريكية إلى مقاومة العقوبات الدولية إلا بشكل محدود كما ذكر أعلاه. ولذلك لا يعني التزام أوروبا بالاتفاق النووي ضد موقف واشنطن المتشدّد شيئًا بالنسبة إلى طهران كما ذكر المرشد الأعلى

انقسام إقليمي حول التصعيد: على خلاف الموقف الدولي، تمتدّ الخلافات والمواجهات في الملفات الإقليمية إلى المواقف من السياسة الأمريكية الجديدة. إذ تمثل كل من إسرائيل والسعودية والإمارات الجبهة الداعمة - بل والمشجّعة - لموقف واشنطن التصعيدي ضد طهران. هذا بينما تقف مجموعة أخرى موقفًا منتقدًا للتصعيد الأمريكي. وتضمّ هذه المجموعة دولاً كتركيا وقطر والأردن ومصر وغيرها، علاوة على عدد من حركات المقاومة بالإقليم. وترى هذه المجموعة في التصعيد الأمريكي والضغط المتصاعد على طهران أرضيةً لزيادة التوتّر وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط. وقد ازدادت مع التصعيد الحادث محاولات للوساطة بغية التهدئة بين واشنطن وطهران. لكن وبشكل عام، يمكن القول إن السياسة الأمريكية تزيد من حدّة أزمات الإقليم واتساعها من خلال تشديد الخلاف بين محوريه الرئيسيين، وتأتي بالتالي بسلبياتها على الاستقرار الإقليمي.

أدوات الضغط والمقاومة

تستخدم الولايات المتحدة قوة اقتصادها وسيطرتها على النظام المالي العالمي أدوات ضغط ضد طهران. وتمثّل العقوبات أدوات واشنطن المفضّلة للضغط على طهران حسب الرئيس ترمب. ويتزايد مع التصعيد الضغط الأمريكي على المجتمع الدولي والدول الإقليمية للانضواء تحت سياستها. ولم يسلم من تلك الضغوط حلفاء الولايات التقليديون ناهيك عن أصدقائها. ويسبّب هذا الضغط تدمرًا، ويأتي بانتقادات غير مسبوقه من حيث الاتساع والإعلان. ولذلك تجد الإدارة الأمريكية صعوبةً في التفاوض الجاد حول سياستها مع حلفائها التقليديين - وهو ما ظهر جليًا في زيارة وزير الخارجية الأمريكي إلى بروكسل^{١٣}. ورغم ذلك، تستمر السياسة الأمريكية الأحادية؛ إذ يتحدث الرئيس الأمريكي عن خوض واشنطن حربًا اقتصادية ضد طهران لحملها على التراجع والتفاوض وفق أجندة إدارته بالتالي. ويُمثّل الحشد العسكري لدفع طهران للتراجع عبر تضخيم صورة الخطر أداةً أخرى تزداد مع اتساع صعوبة تراجع طهران أمام الضغط الاقتصادي.

وأمام سياسة واشنطن "الضغط الأقصى" (maximum pressure)، تعوّل طهران على مجموعة من العناصر والمتغيّرات للمقاومة. ويأتي أولها مبنياً على عزلة السياسة الأمريكية دولياً؛ إذ تأمل طهران أن تمكّنها تلك العزلة من الالتفاف على جزء من العقوبات، خاصةً تلك المركّزة على صادراتها النفطية^{١٤}. وتراهن طهران أيضاً على حلفائها وجاراتها كالعراق وتركيا مثلاً في التملّص من آثار العقوبات. كما تمثّل قدرات طهران الاقتصادية الداخلية رهاناً إيرانياً آخر لتحمل أعباء العقوبات المتصاعدة. فقد تحدّثت القيادات الإيرانية من المرشد الأعلى والرئيس إلى أدنى سلّم السلطة عن ضرورة التصدّي للسياسة الأمريكية بالتأكيد على تلك القدرات. وثمة نقاش في الداخل الإيراني يدور حول قدرة إيران على المقاومة الاقتصادية بالتأكيد على القدرات الداخلية. فيقول البعض بصعوبة المهمة بل استحالتها؛ إذ إن اعتماد جزء مهمّ من الاقتصاد الإيراني على الصادرات النفطية والغازية يُصعّب تلك المهمة. لكن وفي المقابل، يرى البعض في العقوبات فرصة للخروج - وإن بصعوبة كبيرة - من الاعتماد على صادرات الطاقة.

المتوقَّع والمرجَّح

بين الضغط الأمريكي والمقاومة الإيرانية والتصعيد المتواصل بينهما، تُطرح عدَّة متغيِّرات يجب الإلمام بها لاستشراف المستقبل وطرح الممكن والمستبعد من سيناريوهات مستقبلية. أول هذه المتغيِّرات هو إمكانية تراجع طهران أو تمسُّكها بموقفها المبدئي في عدم التفاوض تحت التهديد. أما المتغير الثاني فهو جدية الإدارة الأمريكية في الذهاب إلى أبعد الاحتمالات - ومنها الضربات الجوية أو الحرب - لحمل طهران على القبول بالملبوع أمريكيًا. أضف إلى ذلك المتغيِّرات الوسيطة للتصعيد أو التهدئة بين الجانبين. وفي مقدمتها يأتي دور المحور المعادي لطهران في المنطقة. إذ يقول الواقع بدفع ذلك المحور باتجاه المواجهة وترجيحه استحالة إيران إلى دولة غير مستقرة ومنكفئة للداخل. فما هي حظوته لدى إدارة ترمب؟ وما الذي قد يأتي به دفعها للمواجهة بين الجانبين؟ أما المتغيِّر الآخر فهو احتمالات تأثير حلفاء طهران وأصدقائها في سياسة حافة الهاوية الجارية بين طهران وواشنطن في الشرق الأوسط. فأبي تصعيد من قبلها قد يؤدي إلى مواجهة - وإن كانت محدودة - بين طهران وواشنطن. وفي ظلِّ هذه المتغيِّرات الرئيسية والفرعية، يمكن الحديث عن ثلاثة سيناريوهات رئيسة نردفها من الأكثر احتمالاً إلى أبعده:

السيناريو الأول هو استمرار الوضع الحالي بين تصعيد مرحليٍّ وهدوءٍ تليه مرحلة أخرى من التصعيد. وتزيد واشنطن في هذا السيناريو من عقوباتها على إيران وضغطها على المجتمع الدولي للسير في ركبها ضد طهران، ويستمر المحور المعادي لطهران في تشجيعه التحرك ضد طهران. هذا بينما تُبرز طهران وحليفاتها عضلاتها بين الفينة والأخرى بغية الردع أمام التهديد المتنامي. ويتَّسم هذا السيناريو بعدم استقرارٍ يمتدُّ إلى ملفات المنطقة بشكل متقطَّع. وتأمل طهران في هذا السيناريو أن يصل مفعول العقوبات إلى مداه الأخير، حيث تبرز مؤشرات تصدُّعه لشدة ركون واشنطن إليه وزيادة التنضُّل الدولي منه بالتالي. بينما تأمل واشنطن أن تؤدي العقوبات وزيادتها مع عدم اليقين العسكري إلى زعزعة الاستقرار في الداخل الإيراني، وتجبر نظامها بالتالي على الانصياع للملبوع أمريكيًا. وغني عن القول أن هذا السيناريو غير قابل للاستمرار طويلًا، لكنه قد يمتدُّ لسنة أو سنتين.

بين الضغط الأمريكي والمقاومة الإيرانية والتصعيد المتواصل بينهما، تُطرح عدَّة متغيِّرات يجب الإلمام بها لاستشراف المستقبل وطرح الممكن والمستبعد من سيناريوهات مستقبلية. أول هذه المتغيِّرات هو إمكانية تراجع طهران أو تمسُّكها بموقفها المبدئي في عدم التفاوض تحت التهديد. أما المتغير الثاني فهو جدية الإدارة الأمريكية في الذهاب إلى أبعد الاحتمالات - ومنها الضربات الجوية أو الحرب - لحمل طهران على القبول بالملبوع أمريكيًا

أما السيناريو الثاني فهو ازدياد مستوى التصعيد بين الجانبين. ويزداد هذا السيناريو احتمالاً مع اتضاح عدم إتيان العقوبات أكلها في تحريك المجتمع الإيراني ضد نظامه. إذ تنتقل واشنطن إلى جانب الضغط الاقتصادي إلى إظهار إمكانية العمل العسكري من خلال الحشد المستمر في الشرق الأوسط - وآخر مؤشراتنا موافقة الرئيس ترمب على إرسال ١٥٠٠ جندي للمنطقة^{١٥}. وتزيد واشنطن من عقوباتها على إيران وضغطها على المجتمع الدولي لعزل إيران وضرب اقتصادها بفعالية أكبر. هذا بينما تدخل إيران في مرحلة جديدة من إظهار القوة (power projection) بغية الردع على مستوى التهديد الأمريكي المتصاعد. ويزيد ذلك من إيقاع معضلة أمن، ويقرب الطرفين من الصدام المباشر. ويزداد دور المتغيِّرات الفرعية كمحرك رئيس في الصدام. فقد يقوم حلفاء أيٍّ من الطرفين بتحريكٍ أمميٍّ أو عسكريٍّ محدود في أحد ملفات المنطقة، ينتهي بصدامٍ أكبر يمتدُّ إلى إيران والولايات المتحدة بالتالي. وبأمل الجانبان من سياسة حافة الهاوية هذه أن يتراجع الآخر من موقفه أولاً.

أما السيناريو الثالث، وهو الأقل احتمالاً في السنتين المقبلتين بسبب تمسُّك إيران بمبدأ رفض التفاوض تحت التهديد وغياب المرونة الأمريكية، فهو انحدار مستوى التصعيد والتوتر بين الجانبين عبر وساطاتٍ أو دونها. وقد زاد تحرك كلٍّ من العراق^{١٦} وعمان^{١٧} للتهدئة من المؤشرات الأولية لسيناريو كهذا. وبينما يستمر مفعول العقوبات الأمريكية في هذا السيناريو، فإن واشنطن توقف حراكها المستمر في وضع عقوباتٍ جديدة على إيران. وتستمر طهران في سياستها الاقتصادية المبنية على الالتفاف على العقوبات، ولا تبحث بالتالي عن رصيدٍ أمميٍّ أو عسكريٍّ ضد واشنطن بغية الردع. ورغم استمرار دأب أعداء طهران على توتير الأجواء، تتمكَّن كلٌّ من طهران وواشنطن من تفادي التصعيد.



خلاصة

رغم استمرار النقاش في طهران، يبقى التمسك بمبدأ عدم التفاوض تحت الضغط محورًا تُجمع عليه أطراف النظام حاليًا. وقد عبّر المرشد الأعلى عن هذا الموقف بالقول إن المفاوضات مع إدارة ترمب "سُمّ مضاعف"^{١٨}. وتغيب من جانب آخر المرونة الأمريكية؛ إذ لا بديل عن سياسة "الضغط الأقصى" كما يبدو في خطاب إدارة ترمب: على إيران أن تتراجع وتستسلم للمطالب الأمريكية. لذلك فإن التصعيد يستمر وتلوح في الأفق نُذر التصعيد العسكري إن لم يُفرض الضغط الأقصى إلى النتيجة المرجوة أمريكيًا - وهو أمر مرجح في ظل المقاومة الإيرانية. وبينما يدفع أعداء إيران الإقليميون باتجاه المواجهة، فإن المجتمع الدولي يبقى مؤيدًا لموقف طهران على المستوى السياسي ما دامت الأخيرة ملتزمة بالاتفاق النووي. ولا تشير المؤشرات الموجودة إلى نزوع أيٍّ من الطرفين للمواجهة العسكرية حاليًا على الأقل. وبذلك يبقى السيناريو الأمثل هو استمرار الوضع الحالي مع احتمال تصاعده في المرحلة المقبلة. فرغم دأب لاعبين إقليميين على التهدة، فإن احتمالات التصعيد لا تزال باقية في ظل التوتُّر القائم.



المراجع

- ١- "Resolution 2231 (2015) on Iran Nuclear Issue," United Nations Security Council. <https://www.un.org/securitycouncil/content/2231/background>
- ٢- "Remarks by President Trump on the Joint Comprehensive Plan of Action," The White House, May 8, 2018. <https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-joint-comprehensive-plan-action/>
- ٣- Michael R. Pompeo, "After the Deal: A New Iran Strategy," The Heritage Foundation, May 21, 2018. <https://www.state.gov/after-the-deal-a-new-iran-strategy/>
- ٤- « دیدار مسئولان نظام با رهبر انقلاب » موقع Khamenei.ir. ١٣٩٨ اردیبهشت ٢٤، <http://farsi.khamenei.ir/news-content?id=٤٢٤٩٨>
- ٥- « اگر سرزمین ما بمباران شود، دست از هدف استقلال کشورمان و عزت‌مان برنمی‌داریم » موقع انتخاب، ٢ خرداد ١٣٩٨. <https://www.entekhab.ir/fa/news/-عزت-مان-و-کشورمان-از-هدف-استقلال-کشورمان-و-عزت-مان-از-ایران-ما-بلند-نخواهد-شد-بر-نمی-داریم-صدای-ذلت-و-تسلیم-از-ایران-ما-بلند-نخواهد-شد>
- ٦- Edward Wong, "U.S. Orders Partial Evacuation of Embassy in Baghdad," The New York Times, May 15, 2019. <https://www.nytimes.com/2019/05/15/us/politics/us-iraq-embassy-evacuation.html>
- ٧- Bryant Harris "2020 Democrats vow to re-enter Iran nuclear deal," Al-Monitor, March 19, 2019. <https://www.al-monitor.com/pulse/originals-٢٠٢٠/٢٠١٩democrats-vow-reenter-iran-nuclear-deal-jcpoa.html>
- ٨- "Trump: I don't Want War with Iran," Fox News, May 19, 2019. Available at: <https://www.youtube.com/watch?v=vc4vYWJfJnE>
- ٩- "Iran FM Zarif: US sanctions are economic terrorism," AlJazeera, May 4, 2019. <https://www.aljazeera.com/programmes/talktojazeera/2019/05/iran-fm-zarif-sanctions-economic-terrorism-190503102310913.html>
- ١٠- Annalisa Girardi, "INSTEX, A New Channel To Bypass U.S. Sanctions And Trade With Iran," Forbes, April 9, 2019. <https://www.forbes.com/sites/annalisagirardi/2019/04/09/instex-a-new-channel-to-bypass-u-s-sanctions-and-trade-with-iran/#2c6d9ffd270f>
- ١١- « از امروز فروش اورانیوم غنی شده و آب سنگین را متوقف می‌کنیم » وكالة أنباء ایسنا، ١٨ اردیبهشت ١٣٩٨. <https://www.isna.ir/news/از-امروز-فروش-اورانیوم-غنی-شده-و-آب-سنگین-را-متوقف-می-کنیم>
- ١٢- « دیدار مسئولان نظام با رهبر انقلاب » موقع Khamenei.ir. ١٣٩٨ اردیبهشت ٢٤، <http://farsi.khamenei.ir/news-content?id=٤٢٤٩٨>
- ١٣- Patrick Donahue, Gregory Viscusi and Tim Ross, "Exasperated Europeans Face Surprise Pompeo Visit on Iran," Bloomberg, May ٢٠١٩، ١٣، <https://www.bloomberg.com/news/articles/2019-05-13/europeans-see-iran-deal-slipping-away-with-trump-brinkmanship>
- ١٤- « روحانی: با افتخار تحریم‌ها در فروش نفت، را دور می‌زنیم » موقع خبر آنلاین، ٣١ اردیبهشت ١٣٩٨. <https://www.khabaronline.ir/news/روحانی-با-افتخار-تحریم-ها-در-فروش-نفت-را-دور-می-زنیم>
- ١٥- Anthony Capaccio and Margaret Talev, "U.S. Sends ١,٥٠٠ Troops to Mideast After Blaming Attacks on Iran," Bloomberg, May ٢٠١٩، ٢٤. <https://www.bloomberg.com/news/articles/٢٤-٥-٢٠١٩/trump-to-send-٥٠٠-١-more-troops-to-mideast-as-iran-tensions-rise>
- ١٦- « العراق: إطلاق مبادرة رسمية لإنهاء النزاع بين إيران وأمريكا » سبوتنیک عربي، ٢١ مايو ٢٠١٩، https://arabic.sputniknews.com/arab_world//إيران-أمريكا-التصعيد
- ١٧- « سلطنة عمان: نسعى لتهدئة التوتر بين أمريكا وإيران من خلال جهود الوساطة » سبوتنیک عربي، ٢٤ مايو ٢٠١٩، https://arabic.sputniknews.com/arab_world//إيران-عمان-أمريكا-٢٠١٩-٥٢٤١٠٤١٢٥٧٦١٨
- ١٨- « دیدار مسئولان نظام با رهبر انقلاب » موقع Khamenei.ir. ١٣٩٨ اردیبهشت ٢٤، <http://farsi.khamenei.ir/news-content?id=٤٢٤٩٨>



عن المؤلف

حسان أحمديان هو أستاذ مساعد في دراسات الشرق الأوسط في جامعة طهران وزميل ما بعد الدكتوراه في مركز بيلفر بجامعة هارفارد.

عن الشرق

منتدى الشرق هو شبكة دولية مستقلة تتمثل مهمتها في تطوير استراتيجيات طويلة الأمد لضمان التطور السياسي، والعدالة الاجتماعيّة، والازدهار الاقتصاديّ لشعوب منطقة الشرق الأوسط. وسيقوم بتنفيذ ذلك من خلال الأبحاث المتفانية في العمل العامّ، وتعزيز مُثل المشاركة الديمقراطيّة، والحوار بين أصحاب المصالح المتعددة والعدالة الاجتماعيّة

Address: Istanbul Vizyon Park A1 Plaza Floor:6
No:68 Postal Code: 34197
Bahçelievler/ Istanbul / Turkey
Telephone: +902126031815
Fax: +902126031665
Email: info@sharqforum.org

sharqforum.org



**الشرق
منتدى**
ALSHARQ FORUM

